المحاضرة الحادية عشر: فلسفة اللغة في القرون الوسطى المسيحية

اللغة ومبحث الكليات، الواقعية الأفلاطونية، الإسمانية والنزعة التصورية.

شهدت القرون الوسطى تطورًا مهمًا في فلسفة اللغة، حيث أصبح النقاش حول اللغة مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالمبحث الكلي والمشكلات الميتافيزيقية حول الكليات والجزئيات. كان السؤال الأساسي الذي شغل الفلاسفة في هذه المرحلة هو: ما طبيعة العلاقة بين اللغة والواقع؟ وهل الكلمات تعبر عن الواقع فعليًا، أم أنها مجرد رموز اصطلاحية؟ وقد تجلى هذا النقاش من خلال اتجاهات فكرية رئيسية: الواقعية الأفلاطونية، الإسمانية، والنزعة التصورية.

أولاً: اللغة ومبحث الكليات

لقد كان أحد أبرز المحاور في فلسفة اللغة خلال القرون الوسطى المسيحية هو مبحث الكليات (Universals). وقد كان السؤال المركزي: هل الكليات موجودة في الواقع بذاته، أم أنها مجرد أفكار في الذهن؟ فقد اتجه الفلاسفة الواقعيون إلى القول أن الكليات، مثل "الإنسانية" أو "الفضيلة"، لها وجود حقيقي مستقل عن العقول الفردية. وبناءً على ذلك، يجب أن تحمل الكلمات دلالة حقيقية على هذه الكليات، فاللفظ ليس مجرد علامة، بل يعكس جوهر الشيء الذي يشير إليه المعاني إوالكليات كما تصوّرها أفلاطون هي كيانات عقلية مُجرَّدAbstract Entities ، إنها مفاهيم (أو أفكار، أو مُثُلIdeas ؛ جميعها مترادفات في هذا السياق. (المقصود، 2021) هذا أدى إلى التركيز على أن الكلمة والشيء مرتبطان ارتباطًا وثيقًا، وأن اللغة يمكن أن تكون أداة لمعرفة الواقع الكلي والحقائق العامة، لا مجرد وسيلة للتواصل الاجتماعي.

ثانياً: الواقعية الأفلاطونية

الواقعية الأفلاطونية هي موقف فلسفي يكون فيه للكُلّيّات أو الأشياء المجردة وجود موضوعي خارج الأذهان البشرية. وقد نُسب هذا المصطلح الفلسفي إلى الفيلسوف الإغريقي أفلاطون الذي طبّق فكرة الواقعية على تلك الكليات التي اعتبرها مُثُلًا (صورًا مثالية).. (ويكيبيديا)

ثالثاً: الإسمانية(Nominalism)

انبثقت الاسمية كتيار فلسفي واضح خلال القرون الوسطى، خاصة في النقاشات اللاهوتية التي كانت سائدة في الجامعات الأوروبية، مثل باريس وأوكسفورد. كان الجدل محتدمًا بين الواقعيين، الذين يرون في الكليات جوهرًا حقيقيًا، وبين الرافضين لهذا الطرح الذين اعتبروا الكليات مجرد كلمات. برز من بين هؤلاء المفكر الفرنسي روزسلين، الذي عُد من أوائل الفلاسفة الذين دافعوا عن الفكرة بأن الكليات ليست إلا أسماء خالية من الكينونة الواقعية. وقد أثارت آراؤه جدلًا واسعًا في الوسط اللاهوتي، إذ اعتُبر موقفه تهديدًا للفهم التقليدي للواقع والعقيدة. ثم جاء بعده ويليام الأوكامي، الذي أعطى النزعة الاسمية شكلها الأكثر نضجًا وتماسكًا، وأشهر عبارته لا ينبغي الإكثار من الكيانات دون ضرورة فيما عُرف لاحقًا بـ موس أوكام. فالأوكامي لم يرفض فقط وجود الكليات، بل دعا إلى تبسيط النظرية الفلسفية وحذف كل كيان لا يمكن البرهنة على ضرورته. وبهذا، ساهمت الاسمية في تغيير جذري لنظرة الفلاسفة للواقع، ومهّدت الطريق أمام التفكير العلمي الحديث. (اللطيف، 2025)

لقد ركزت الإسمانية، على أن الكليات لا توجد في الواقع المستقل، بل هي مجرد أسماء يُطلقها البشر على الأشياء المشابهة لتسهيل التفكير والتواصل. وفق الإسمانية، اللغة هي نظام اصطلاحي لا يعكس الواقع بشكل مباشر، بل يشير إلى مجموعات من الأشياء أو الظواهر المشابهة.مثال: كلمة "الإنسانية" لا تعبر

عن وجود كلي مستقل، بل تشير إلى مجموع جميع البشر الذين نعرفهم. هذا الاتجاه ركّز على وظيفة اللغة العملية، اعتبارها أداة لتصنيف الخبرة والتواصل، وليس وسيلة للوصول إلى الحقائق المطلقة.

رابعاً: النزعة التصورية(Conceptualism)

النزعة التصورية جاءت كحل وسط بين الواقعية والإسمانية، واعتبرت أن الكليات موجودة في الفكر البشري، لكنها ليست موجودة بشكل مستقل في الواقع المادي أو المطلق. الكلمات تعبر عن المفاهيم العقلية التي تكونها العقول عند تصور الأشياء المشابهة. مثال: كلمة "الإنسانية" تشير إلى المفهوم العقلي للإنسانية الذي يكونه العقل عند التفكير في جميع الأفراد، لكنها لا تمثل كيانًا موضوعيًا خارج العقل. هذا الاتجاه جمع بين الاعتراف بأن اللغة تحمل معنى حقيقي، وبين إدراك محدودية هذا المعنى، إذ أنه مرتبط بالعقل البشري أكثر من ارتباطه بالواقع المطلق.